كورد آذربيجان(الحلقة الأولى)...

الدكتور محمد أحمد برازي

يطلق الآذربيجانيون على وطنهم اسم بلاد النار؛ وذلك بسبب الشرارات النارية المنبعثة من أماكن متفرقة فيها الغاز والنفط كالتلال و الجبال وغيرها.

حصلت جمهورية أذربيجان على استقلا لها في ٣٠ من آب عام ١٩٩١م من روسيا الفيدرالية، أي بعد انهيار الاتحاد السوفييتي. حيث لم تكن هي الدولة الوحيدة التي نالت استقلالها بعد زوال دولة العمال والفلاحين.

يبلغ عدد سكانها حوالي ٨ ملايين حسب تقديرات عام ٢٠٠١م، وتبلغ مساحتها بالكيلومترات المربعة ٨٦.٦ ألف، ونظام الحكم فيها جمهوري. فأول رئيس للجمهورية بعد الاستقلال كان حيدر عالييف من أصل كردي (تحديداً من إقليم نقشوان أو نخشوان) تولى زمام الحكم بعد وفاته ابنه الوريث إلهام عالييف حيدروفيتش (للأسف فهو معاد للكرد وأي شيء يتعلق بهم؛ حيث يرفض كلمة كردستان رفضا قاطعا).

تحد أذربيجان من الغرب أرمينيا، ومن الشمال روسيا الفيدرالية ومن الشمال الغربي تحدها جمهورية جورجيا، ومن الجنوب تحدها إيران، ومن الجنوب الغربي تحدها تركيا ومن الشرق بحر قزوين المغلق .

الطابع القومي للسكان:

طبعاً أغلبية ساحقة هم أذريين. أي حوالي ٧٠%، مع العلم أن الإحصائيات الحكومية تعد نسبة الأذريين بأكثر من ٩٠ % (فهذه مبالغة فيها). وبحكم المستحيل أن تكون أية جمهورية سوفيتية سابقة نسبة سكانها الأصليين تصل إلى الـ ٩٠% لا بد من تواجد أقوام أخرى كالكرد (وبكثافة أكثر من البقية)، والتتر واللاز والجورجيين والتيليشيين والتات واليهود و روس وأوكرانيون و ألمان وغيرهم. وعلى أكبر تقدير يمكن القول أن نسبة الآذريين هي حوالي ٧٠% حسب تقديراتي (كاتب). وليس خافيا على أحد أن الكثيرين من الكورد قد انصهروا في البوتقة الآذرية. وحسب الصحفي السيد رؤوف عارف أوغلو رئيس تحرير "آيني موسافات"، بأن معظم الكرد يشغلون المناصب العليا في أذربيجان ابتداء من الرئيس ومرورا بالجنرالات والوزارات وغيرها من مرافق الدولة: "فعلينا أن ننبه الأذريين حتى لا نترك وطننا بيد الكرد". ويؤكد في تصريحه هذا بأن رئيس الحرس الجمهوري (وهو جنرال) كوردي، ويجزم أن غالبية القياديين في الدولة هم من أصل كوردي.

لمحة عن الازربيجان :

كانت أذربيجان حتى عام ١٩١٨م تابعة لروسيا القيصرية، وفي عام ١٩١٨م انفصلت كجمهورية ذات سيادة عن روسيا القيصرية وانضمت من تلقاء نفسها إلى الاتحاد السوفيتي. تم الاعتراف بها وبأرمينيا وبجورجيا بشكل رسمي من قبل الاتحاد السوفيتي كفدرالية قفقاس بدءا من عام ١٩٢٠م إلى ١٩٢٢م. وفي عام ١٩٣٦م لم يعد وجود لهذه الفدرالية فاعتبرن جمهوريات ذات سيادة ضمن الاتحاد السوفيتي، وبقيت على هذه الحال إلى انهيار الاتحاد السوفيتي. فهي تحتفل كل عام في الثامن عشر من أكتوبر بعيد استقلالها.

توجد منطقتين ذات الحكم الذاتي ضمن أذربيجان وهما نقشوان- و ناغورني كاراباخ. وفي حوادث عام ١٩٨٨م ضمت ناغورني كاراباخ وبعض أجزاء نقشوان إلى أرمينا، بالرغم من تواجدها على مبعدة من الحدود مع أرمينيا. جدير ذكره هنا أن معظم الأراضي التي كانت ضمن كردستان الحمراء تقع ضمن الأراضي الأرمنية، إلا أن بعضا منها ضمت إلى أذربيجان. حيث احتل الجيش الأرمني كل المناطق التالية: في ١٧ أيار عام ١٩٩٢م احتل لاجين، وفي ١٢ نيسان عام ١٩٩٣م احتل كلبجار، وفي ٣١ آب من العام نفسه احتل كوباتلي وفي ٢٩ اكتوبر منه احتل زنغيلان. كما نرى أن مناطق كردستان الحمراء تكاد تكون برمتها تحت السيطرة الأرمنية؛ حيث لاذ الآذريون بدون مقاومة، في حين كانوا ضد تأسيس كردستان الحمراء خلال أعوام ١٩٢٣ – ١٩٢٩م والتي زالت عن الوجود بسبب تركيا الكمالية وامتدادهم في أذربيجان أمثال مير جعفر باقيروف الذي كان أشد مناهض للكرد حينها. فتغير الاسم من كردستان الحمراء إلى إقليم نقشوان. عندما احتل الأرمن تلك المناطق، اضطر الكورد أيضا إلى إخلائها؛ لكونهم كانوا مع الأذريين في حربهم ضد الأرمن، للأسف هنا لم يفد الكرد الرئيس من الأصل الكردي بشيء، بل عمل ومن بعده وريثه على صهر الكرد في القومية الآذرية.

نرى الآن هذه المناطق تفقد شرعيتها الكردية وتصبح آذرية وأرمنية؛ بينما فيما مضى كانت تابعة للدولة الحسنكية والشدادية والتي كانت امتداداتها تصل إلى عمق كردستان غربا وجنوبا. ومن المؤسف أيضا أن هؤلاء الكرد المتواجدون في المراكز العليا من الدولة الآذرية، أنفسهم يسرعون من عملية تصهير الكرد في القومية الآذرية، غير مبالين بالتاريخ عما جرى ويجري للكرد في تركيا الكمالية، وكذلك في سوريا والعراق البعثيتين.

طبيعي أن لا يحارب العنصر الكوردي من قبل القومية السائدة حاليا، ولكنها بعد حين ستزيح هؤلاء من الأصول الكردية عن مراكزهم، وسيحاربون أشد محاربة. فالنقاء العرقي لدى الشوفينيين لا يقف عند حد نسيان اللغة فحسب، بل يتعدى في بعض الأحيان إلى التصفيات الجسدية أيضا.

إهمال الجانب القومي في هذه الحالات يكون وبالا على الأجيال القادمة، كما حصل مع الكرد في كل من إيران وتركيا والعراق وسوريا. نحن أبناء الكرد ندفع إهمال الأجداد الآن وبشكل يندب له الضمير. سأروي، هنا، حادثة كمثال والحالات المشابهة كثيرة جدا، روى لي السيد ساري حسين وهو كوردي من أذربيجان: أنه عندما جرى الإحصاء من أجل تعداد السكان وفرز القوميات المتواجدة على أراضها، قلت لموظف الإحصاء: أنا كوردي مسلم من أذربيجان. فغضب الموظف وسجلني كإنسان أذربيجاني، بالرغم من اعتراضي عليه. هذه عينة لإخفائهم العدد الهائل من الكرد المتواجدين على الأراضي الكردية المنضمة إلى أذربيجان (أجزاء كردستان الحمراء) بالإضافة إلى المتناثرين في أنحاء الجمهورية.

فالصهر القومي والقسري الذي جرى لكرد ما يعرف اليوم بكرد أذربيجان مروع جدا؛ حيث كان عددهم إبان كردستان الحمراء عام ١٩٢٠م في إقليم نقشوان الحالية أكثر من ثلاثمائة وعشرين ألف (حسب إحصائيات تلك الفترة)؛ في حين لا يتعدى عددهم في الوقت الحالي مائة كردي!

لنا لقاء آخر في الحديث عن كرد أذربيجان.

آلماتا – كازاخستان
Zurkurd007@yahoo.com